تشابك العلاقات الاجتماعية الحديثة ـ الطبقية ـ مع العلاقات ما قبل الطبقيـــة التي ما زالت تحتفظ بحيوية وتأثير كبيرين ٠

ومثلما لا يمكن الحديث عن طابع طبقي للدولة عند قيامها في شرقي الاردن ، فانها قد برزت لا كقوة مفروضة على « المجتمع » من داخله ، بل تحت تأثير قوى وشروط خارجيـــة ٠

اي ان الشروط الاجتماعية ـ الاقتصادية الاساسية الداخلية التي تبرز الحاجة الى نشوء وقيام الدولة لم تكن متوفرة في شرقي الاردن آنذاك٠ فالشروط الداخلية هي الاساس في قيام الدولة ، اية دولة ، وهي بالنسبة لشرقي الاردن لم تحتـــم (وفقا لقوانينها الداخلية البحتة) تشكل الدولة ، ولم يعكس قيامهـــا فعـــل الضرورة التاريخية من وجهة النظر الداخلية ٠ فالقوانين الموضوعية الداخليـــة حين عبرت عن ضرورتها التاريخيةمن وجهة نظرها، عبرت عنها في شكل حكومات محلية وليس في شكل حكومة واحدة مركزية ، اي في صورة « دول » وليس فيصورة دولة واحدة ٠

هذا اولا ، لكن المهم هو تفسير قيام الدولة مع ذلك ، فـــــاذا كان الاساس الموضوعي الداخلي لم يسمح بقيام دولة مركزية ، فكيف قامت ولماذا نجحت فـــي فرض نفسهـــا ؟

ان السبب يكمن في ان حالة استقطاب وتوازن القوى المحلية ، وعجز كل منها عن ان يسود ويهيمن خارج بقعته ، قد ساعدت على بروز امكانية واقعية لنشـــوء مركز جذب وتوازن بين هذه القوى المحلية ولنشوء جهاز للسيطرة من الخـــارج يلعب دور الحكم المنزه عن التناقضات الداخلية ، دور الكابح والملطف لها ٠

لقد وجد وضع تاريخي في شرقي الاردن عجزت فيه القوى المحلية ان تبرز من بين صفوفها زعامة وطنية تجمع بيدها القوة اللازمة لفرض نفسها من جهـــة وللموازنة بين سائر الكتل والقوى الاجتماعية والعشائرية من جهة ثانية ، ولـــم تكن اية قوة اجتماعية بقادرة على فرض نفسها وسلطتها على المستوى الاقليمي، فتقدمت الزعامة من الخارج ٠ فمثلما تنشأ الحاجة الى الدولة في المجتمعـــات الطبقية من اجل تلطيف الصراع بين الطبقات ، تقدمت الزعامة من الخارج كـــي تقوم بما تعجز عن القيام به القوى المحلية ٠ اي دور الزعامة والحكم الذي يضع نفسه فوق التناقضات بين المناطق وسائر المنظومات الاجتماعية والعشائرية فيها٠

هكذا نلاحظ انه في الوقت الذي لم تنشأ فيه الشروط الداخلية المناسبة لتشكل الدولة ، فان حالة استقطاب القوى الداخلية افسحت المجال امام نشوء جهـــاز مركزي للسلطة من الخارج ٠ ووفرت امكانية لعب العوامل والشروط الخارجية دورا مقررا في شكل وطبيعة السلطة وفي ادائها لوظيفتها ٠